

## قيام الحضارة وسقوطها في نظرية أرنولد توينبي ( التحدي والاستجابة )

م. بهاء موسى حبيب  
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

### المبحث الأول

#### أرنولد توينبي النشأة والتكوين الفكري

ولد أرنولد توينبي في شهر نيسان ١٨٨٩ في أسرة متعلمة. أذ كان أبوه من دعاة الإصلاح الاجتماعي. وكانت أمه قد تخرجت من إحدى الجامعات البريطانية.

اكتسب توينبي من أمه حب التاريخ. ومن عمها - وهو قبطان متقاعد في شركة الهند لشرقية - حب قصص الرحلات البحرية القديمة والمثيرة (١).

اتاحت له جامعة أكسفورد الفرصة. لغرض الدراسة في المدرسة البريطانية للأثار في أثينا. من عام ١٩١١ وحتى عام ١٩١٢. وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى. التحق بدائرة الاستخبارات السياسية. في وزارة الخارجية البريطانية. وهذه الوظيفة مكنته من رؤية الخلفية السياسية لقرارات الحكومة (٢).

سافر توينبي عام ١٩٢١ أثناء الحرب التركية اليونانية. إلى اليونان. ليراسل جريدة (المنشستر غاردين). وألف كتاباً هناك. أسماه (قضية الغرب في اليونان وتركيا)

أمضى بعد ذلك ثلاثين سنة. من عام ١٩٢٥. حتى تقاعد عام ١٩٥٥. أستاذًا وباحثًا. في المعهد الملكي للدراسات الدولية. وخلال هذه المدة. طاف توينبي في معظم أجزاء العالم باحثًا وزائرًا ومنقبًا (٣) ولهذا نجد إن تكوينه الفكري. كان متعددًا ومتنوع المصادر. في كل الأمثلة التي تدعم موسوعته (بحث في التاريخ).

في بداية اطلاعاته قرأ توينبي (تدهور الحضارة الغربية) (٤) لأزوفالد شبنجلر (٥) وبعد قراءته لهذا الكتاب اكتشف إن تفسير نشوء الحضارات وتدهورها. في هذا الكتاب. عقيم وإنه لم يأت بتفسير لأي شيء. لأن الأمر - في رأي توينبي - لا يعد. إن يكون قانونا طبيعيا. اكتشفه شبنجلر. ويتعين عليك إن تأخذ بهذا القانون كقضية مُسلم بها (٦).

وجد توينبي ضالته في تفسير. نشوء الحضارات وسقوطها في رواية (فاوست) (٧) للشاعر الألماني جوته (٨). حيث يقول : « إنني عثرت على الدليل بالفعل في رواية فاوست لجوته وهي الرواية التي أملت الحسن الحظ أبان الدراسة. » (٩)

واستمد توينبي الفكرة من تحدي الشيطان لله. بواسطة إغراء مخلوقه الإنسان. وقبول الله لهذا التحدي الذي أسفر عن نزول الإنسان إلى الأرض (١٠). ومن هنا استطاع توينبي. إن يصوغ نظرية التحدي والاستجابة. وتوظيف هذه النظرية في تفسير. نشوء الحضارات وانهارها

يؤكد توينبي على ضرورة دراسة تاريخ العالم اليوناني و الروماني. لأنه يمتلك. مزايا واضحة. باعتباره. حقلا من حقول التدريب و التربية. (١١)

ويظهر تأثير توينبي. بشكل واضح. في الفكر اليوناني. عندما صاغ توينبي. حدا وسطا لقياس مستوى التحدي والاستجابة الأمثل (١٢). وأطلق عليه (الوسط الذهبي). إذ بزيادة شدة التحدي. فوق المتوسط. لا تحدث استجابة ناجحة. لأنه

سوف يسحق الاستجابة، وإذا كان التحدي، تحت المتوسط، فإن لا يثير استجابة ناجحة. (١٣)

نلاحظ، إن هذا المفهوم، هو نفسه، عند أرسطو (١٤)، فالإفراط بالكثرة خطيئة والإفراط بالأقل، هو كذلك مذموم، و الوسط، هو وحدة الذي يستحق الثناء (١٥) ويقصد بالوسط حالة الاعتدال (١٦)

ونجد لمقدمة ابن خلدون (١٧)، دوراً في رد أرنولد توينبي، بكثير من الأفكار، التي وظفها في كتابه (بحث في التاريخ) فبحث أرنولد توينبي عن ابن خلدون، لهُو دليل على تأثره بكتاب، المقدمة حيث يقول: (ابن خلدون نقطة الضوء الوحيدة في ذلك الأفق وأنة بلا ريب هو الشخصية البارزة في تاريخ الحضارة (١٨).

نتلمس تأثر توينبي بأبن خلدون. في تفسيره، لتحلل الحضارات وانهايارها إذ يعزو ضعف الحضارة سقوطها إلى تغيير فلسفة الفئة الحاكمة في الحكم، فبدلاً من إن تستمر على خدمة المصلحة العامة، فإنها تتحول إلى فئة مهيمنة لا تهتم إلا بخدمة مصالحها الخاصة، حتى وإن كانت على حساب مصلحة المجموع أو الأغلبية الساحقة (١٩) وكذلك يرى ابن خلدون، إن العدوان من قبل السلطان على أموال الناس، سبب في خراب العمران وانهايار الحضارة (٢٠).

وتتوافق رؤية توينبي مع رؤية أبن خلدون في إبراز دور الأديان وأهميتها في ولادة وبناء أي حضارة ولا شك في أن الاثنين قد استوعبوا أهمية وقيمة الأديان وقدرتها على رقي الإنسان في الفكر والسلوك. ولذلك نجد هذا التوافق، إذ يقول توينبي «إذا القينا ببصرنا على الحضارات نجد إنه يكمن وراء كل منها نوع من العقيدة الدينية العالمية وعن طريقها تولدت الحضارة» (٢١).

وكذلك ابن خلدون يقول: «إن الدول العامة الاستيلاء، العظيمة الملك، أصلها الدين، إما نبوة أو دعوة حق» (٢٢). وبهذا فإننا نجد لمقدمة ابن خلدون، دوراً في التكوين الفكري لأرنولد توينبي من خلال بعض النصوص المتشابهة، بينهما، لا سيما وإن أرنولد توينبي، قد أشاد في بحثه عن ابن خلدون، كما ذكرنا سابقاً.

ومن تأثر بهم توينبي كذلك، هو (توماس كارليل) (٢٣)، فقد كان لفكرة البطل عند كارليل التأثير الواضح في فكر توينبي (٢٤). ولكن توينبي قد طور الفكرة، التي وقف عندها كارليل، فكارليل، اشترط، إن يكون البطل أرسطوياً، إما الزعماء الشعبيون، وقادة الحركات الثورية، فليسوا إلا أفاقين على حد زعمه (٢٥)، وكان يعادي الديمقراطية ويسخر منها ويخشها وليس كتاب الإبطال، سوى رد على فكر المساواة ونقد لها حيث اثبت،

على الإبطال بشكل مطلق (٢٦).

الأ أن توينبي وعلى الرغم من تأثره بفكرة كارليل، إلا أنه اختلف معه في جزئيات الفكرة، وكانت أفكار توينبي أكثر تطوراً من كارليل فقد كانت له آراء واضحة في مناصرة الحريات والعدالة وتحدي النزعات الأرسطوطالية المنحرفة (٢٧)، فالبطل عند توينبي حالة نسبية وليست مطلقة، حيث يقول: «إن الأقلية المبدعة التي قد انتهى أمر إبداعها وانحط شأنها، فباتت أقلية مهيمنة» (٢٨) . ومن خلال ذلك يحدث تباعد يقود إلى الانقسام، وبدوره يحطم العلاقات بين الأقلية والأغلبية» (٢٩).

فالشعب، هو صاحب السيادة، والحاكم، هو طرف في العقد الاجتماعي، وخاضع لشروطه، وإذا ما خاب الحاكم في تأمين حقوق الأفراد، فإن العقد، يعد ملغى ويستعيد الشعب حرياته الأصلية، ويشكل حكومة جديدة، (٣٠) لاحظنا، إن أرنولد توينبي، قد اقتبس أصل فكرة الإبطال عن كارليل، ولكنه لم يقف، عند الحد الذي آمن به كارليل، فأخذ يطور فكرة البطل أو الأقلية المبدعة، وبشكل يتلائم مع الأفكار التحررية والديمقراطية.

وتأثر توينبي بمفاهيم الفيلسوف الفرنسي، (هنري برجسون) (٣١)، وخاصة فيما يتعلق بالدور الخلاق الذي تقوم به الأقلية المبدعة (٣٢).

«فالأفراد الذين يندفعون إلى السير في سبيل التقدم ... هم أعظم من كونهم رجال عاديون ... مثل هؤلاء عباقرة بالمعنى الحرفي وليس بالمعنى المجازي» (٣٣).

درس توينبي، المدرسة الاسمية (٣٤) والمدرسة الاجتماعية (٣٥) ولكنه لم يناصر إحدى هاتين المدرستين، بقدر ما يقوم بالتوفيق بين أرائيهما، إذ يقول «إن المجتمع هو ميدان الفعل إلا إن مصدر الفعل بأسره مرجعه الأفراد الذي يتكون منهم المجتمع» (٣٦)

لقد ساعد هذا، التكوين، الفكري، لأرنولد توينبي، على رسم منهجيته، في كتابة التاريخ وتفسير إحداثه.

## المبحث الثاني

### منهج البحث التاريخي عند توينبي

تتخذ عملية البحث التاريخي للإحداث التاريخية، شكل التحدي، الذي يستثير عقول المؤرخين، فيستجيبون لهذا التحدي، ليقوموا بالتشخيص التاريخي، لتلك الإحداث، حتى وإن كان الحدث قد طواه الماضي، فمثلاً، ما أثاره انحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، من تحد (١)، دفع جيبون (٢)، لكتابة مؤلفه (تاريخ أفول وسقوط الدولة الرومانية) (٣)، وكذلك نجد توينبي يقول: (إن اللغز الهائل الذي يتمثل في حرائم البشر وحماقاتهم، هي

(١٣) ، وهكذا يؤكد توينبي (إن الجزء لا يمكن إن يفهم إلا بدراسة الكل و إخضاعه لعملية تركيز تستوعب جوانب كل الجزئيات في أطول سياق تاريخي ممكن وواسع ) . (١٤) تميز منهج البحث ، عند توينبي ، في الاهتمام بالتفصيلات التاريخية الدقيقة ، وعزوفة عن التأملات الميتافيزيقية الغامضة (١٥) فمنطق توينبي لدراسة التاريخ هو منطق (١٦) الفلسفة الوضعية (١٧) يشير توينبي إنه كان يستخدم الطريقة العلمية في بحث مشاكل الحضارة (١٨) وذلك باستخدام نظرية التحدي والاستجابة على مجمل تاريخ العالم . (١٩)

فاستخدام توينبي للمنهج التجريبي الذي يقوم على المشاهدة للتعرف على أسباب نشأة الحضارات و تدهورها ، هو المنهج الذي يمثل في جملته ، النزعة التجريبية المعروفة في الفلسفة الإنكليزية الحديثة بصفة عامة (٢٠)

اقرّ توينبي، ثلاث وسائل رئيسة لمعاينة الموضوعات ومنها الظواهر البشرية، وهذه الوسائل هي: أولاً: تحقيق الوقائع وتسجيلها.

ثانياً: استخلاص قوانين عامة عن طريق دراسة مقارنة للوقائع المحققة.

ثالثاً: إعادة تصوير الوقائع بطريقة فنية (٢١).

ومن خلال هذه الأساليب المتبعة ، تتضح مهمة البحث بكونه عملية منطقية، يراد من وراءها إحالة مواقف غير محددة وباعثة على الشك إلى مواقف محددة باعثة على اليقين وليس الغرض من البحث سوى الوصول إلى الاعتقاد. (٢٢)

تقع على عاتق المؤرخين تصحيح آراء الجماعات التي يعيشون ويكدحون في محيطها أكثر مما إن يوضحوا آراء تلك الجماعات (٢٣) لأن توينبي يحتج على المؤرخين ، الذين يكتبون وكأنهم يقفون خارج الحياة والأحداث. (٢٤)

ينقد توينبي التعصب العرقي لدى بعض المؤرخين وذلك باعتناقهم النظرية العرقية التي تعتبر الجنس الآري ذا البشرة البيضاء أسماً الأجناس (٢٥) ، فيبين توينبي، نقص هذه النظرية من خلال الأمثلة التي يسوقها ، فهناك ، أعضاء ينتمون إلى جميع السلالات التي أسهمت في قيام الحضارات (٢٦) وكما إن هناك عناصر بيضاء لم تسهم في قيام أي حضارة (٢٧) فجميع العروق مؤهلة للحضارة. (٢٨) يرى توينبي في الأحداث التاريخية ، جانبين ، هما الجانب الروحاني والجانب المادي، وهنا يفتقر عن غيره من المؤرخين ، الذين أما إن يفسروا الحدث ، تفسيراً ، مادياً ، مثلاً يفعل فلاسفة الماركسية (٢٩) أو يفسروه تفسيراً روحانياً فقط

التي، ألهمتنني في كتابة ، (بحث في التاريخ) (٣). فدراسة التاريخ ليس فناً من الفنون ، التي تدرس لذاتها ، بل هي دراسة غائية تفضي إلى نتائج هامة في مجال تصورنا للمشاهد الأكيد ، من خلال منظور حركة الإنسان (٤). أنتقد توينبي ، المؤرخ فشر ، الذي لم يجد في التاريخ ، أي إيقاع متكرر أو أنماط ، مظهراً إصراره بوجود حقائق ومعطيات ، كافية للوصول إلى استنتاجات يمكن الاعتماد عليها ، حول صفات التاريخ وخصائصه. (٥)

يرفض توينبي إن يعدّ ، حركة التاريخ حركة دورية فارغة أذ يقوم ، بتوظيف فكرة الحركة الدورية للتاريخ ، بشكل يتلائم مع حالة التقدم والتطور ، فمن المسلم به ، إن حركة العجلة ، حركة تكرارية بالنسبة للعجلة ذاتها. ولكن العجلة ، نفسها ، قد وظفت لتسيير العربة كلها إلى الإمام (٦) فإذا «أريد للعربة إن تسير قدماً ، وجبت عليها إن تحمل على عجلات تدور على وتيرة واحدة» (٧) وبهذا نجد إن الحركة الرئيسية التي حملها الحضارة من الأول إلى الأخير ، ليست حركة تكرار نفسها ، ولكن حركة تسيير قدماً ، ذلك لأن البشرية ليست (سيوفوس). (٨)

عدّ توينبي ، إن كل جزئيه ، من جزئيات التاريخ ، لا يمكن إن تؤخذ بمعزل عن جُمْلَةٍ سياق التاريخ كَلْهُ ، فليس بمقدور احد إن يقتطع شريحة من التاريخ ليضعها تحت مجهره ، ويختبر جزئياتها ويستنبط مغزاها (٩). ويضرب توينبي مثالا على ذلك بالنهضة الفكرية في بريطانيا أذ يقول: «إن من المسلم به عند الجميع إن النهضة من جانبها الثقافي والسياسي، نسمة حياة هيت من إيطاليا». (١٠)

وكذلك أمر حركة الإصلاح الديني لم تكن ظاهرة على إنكلترا وحدها ، ولكنها ، حركة قامت في شمال أوروبا الغربية ، وهدفت إلى التحرر من السلطات الدينية للجنوب أي كنيسة روما. (١١)

فأذن ، وحدة الدراسة التاريخية القابلة للفهم ، هي مجموعة خاصة من البشرية ، يطلق عليها توينبي اسم (مجتمع) أو (حضارة) وقد قسم المجتمعات للوفاء بإغراض دراسته إلى إحدى وعشرين مجتمعا ، أندرس معظمها ، ولم يبق منها سوى خمسة مجتمعات هي المسيحية الغربية و المسيحية الأرثوذكسية و المجتمع الإسلامي و المجتمع الهندي و مجتمع الشرق الأقصى. (١٢)

يتضح لنا بعد عرض هذا التقسيم ، أن ميدان الدراسة القابلة للفهم بذاته ، هو يقينا مجتمع يضم عدداً من الجماعات ، لا بريطانيا وحدها ، ولكنه يضم فرنسا و أسبانيا و هولندا ، والبلاد الاسكندنافية و غيرها أيضا

الاجتماعية والسياسية ، وغيرها من المقومات الحضارية التي أثرت أثرا بارزا في تقدم الشعوب الأدنى والدليل على ذلك ، هو اختراعهم الكتابة ، التي أوجدوها ، وطورها والتي عرفت بعدئذ بالخط المسماري. (١١)

كان النهر الأصفر في الصين، غير صالح للملاحة في فصل الشتاء، بسبب الأتجاد وفي فصل الصيف، بسبب ذوبان الثلوج حدوث الفيضانات المدمرة، على عكس من نهر اليانجستي، الذي كان صالحا للملاحة في جميع فصول السنة ، وبالرغم من ذلك فقد انبعتت الحضارة الصينية على النهر الأصفر لا على اليانجستي(١٢).

ولا يكون لشدة الموقع في بعض الأحيان خديا فقط، وإنما يكون في بعض الأحيان نجدة» للحضارة، فقد نجت مدينة البندقية ، بقيامها على بحيرات ضحلة، من الاحتلال العسكري الأجنبي قرابة ألف سنة(١٣).

فأذن الحضارات تتوالد في البيئات التي تتسم بالمشقة غير العادية ، والتي لا تتسم بسهولة الحياة(١٤).

ثانيا: التحدي البشري:

بعد إن أكمل توينبي عرض التحدي الطبيعي في نشوء الحضارات تطرق إلى التحدي البشري الذي يحفز الطاقات لقيام الحضارات وجعلها توينبي ضمن ثلاثة دوافع.

أولا: (دافع النكبات) ثانيا: (دافع الضغط) ثالثا: (دافع العقوبات)(١٥).

الأول: (دافع النكبات)

يمثل ، هذا الدافع ، نكبة تصيب الدولة ، إثناء الازدهار ، فتحاول إن تسترد ما فقدته ، في هذه المرحلة من هيبة»(١٦) فمثلا عام ١٤٠٢ هاجم ، تيمورلنك العثمانيين، عند أنقره ، وتمكن من هزيمة العثمانيين هزيمة ساحقة ، وأسیر سلطانهم بايزيد(١٧).

داهمت هذه النكبة العثمانيين في نفس الوقت الذي كانوا فيه على وشك إستكمال غزوهم ، مقر المسيحية الأرثوذكسية الرئيسي في شبه جزيرة ، البلقان، وكان من المؤمل ، إن تنتظر الدولة العثمانية، انهيار صرح إمبراطوريتهم ، غير المكتمل(١٨) ، ألا إن هذا لم يحدث اذ لم يحضر نصف قرن بعد ذلك أي في عام ١٤٥٣، حتى تمكن محمد الفاتح(١٩) من فتح القسطنطينية ودخل كنسية أيا صوفيا(٢٠) فحقق بذلك محمد الفاتح إنجازا للإمبراطورية العثمانية داخل العمق الأوربي، بعد نكبتها على يد تيمورلنك.

ثانيا: (دافع الضغط)

والدافع الثاني، الذي يرتقي بالحضارة ، هو حافز الضغط الخارجي المتواصل ، ودائما، الذي يتعرض إلى مثل هذا

، فيذهبون إلى إن الروح تشتمل في مجرى التاريخ(٣٠) ، ويقوم توينبي في ذلك: (لا يعيش الإنسان في ظل قانون واحد لأنه يحيا في ظل قوانين ، الأول ناموس الله، والثاني، حرية محدودة للإنسان)(٣١)

كان توينبي يحرص، إن يكون توفيقيا، قدر الإمكان ، ليكون منهجه في البحث، ذو إبعاد شمولية ، بعيدة عن التعصب ، أو التطرف الشخصي، وهو لم ينحاز لأي مذهب في التاريخ ، فحاول إن يجمع المذاهب كلها في مسار الكتابة التاريخية، ويؤلف فيما بينها ليجعلها متناسقة ومتناغمة في معالجة الحدث التاريخي.

### المبحث الثالث

#### قيام ونشوء الحضارات وسقوطها

#### في استقرار توينبي

يفسر ارنولد توينبي عملية ، قيام ونشوء الحضارات و تفككها و تدهورها من خلال نظرية، (التحدي و الاستجابة)(١)، حيث يترتب عليه تحول(٢) من حالة ألين إلى حالة اليانج (٣) أي من دور السكون إلى دور التطور.

إذا أرادت الحضارة إن تكون قوية روحيا و ثقافيا و ماديا فإنها بحاجة إلى محيط قاس، بحيث كلما اشتد التحدي زاد الواقع المحرض للقوة والنمو(٤)، والذي ينتج عن نمو مقابل، يقود إلى ردٍّ موفق(٥).

وتفسير توينبي لقيام الحضارات ، يستند على تحديين رئيسيين الأول (تحدي الطبيعة)(٦) والثاني (التحدي البشري)(٧). والعامل الفاعل في فعل التحدي، سواء، كان طبيعياً أو بشرياً، يعود للأقلية من السكان التي تتصف بالإبداع الفكري والاجتماعي والسياسي والعسكري ، والتي تتعاون مع أفرادها جميعاً في أداء مهمتهم على وجهها الأتم، ليكون هدفهم ، خدمة البلاد والمجتمع ، وتذليل قوى الطبيعة(٨) وقد قسم توينبي التحدي الذي يواجه المجتمع إلى:

أولاً: تحدي الطبيعة

يفسر توينبي، من خلال هذا المنطق، عملية نشوء الحضارات وازدهارها حيث يقول : «إن الحافز نحو نمو الحضارة تزداد قوته ، كلما ازدادت قسوة البيئة الطبيعية»(٩)، فمثلا، كانت حجم الفيضانات في دجلة والفرات هائلة ولا يمكن لأحد إن يتكهن بها فحدث ، فيضان كبير واحد يكفي ، إن يغمر الأراضي في الجانبين، على مدى البحر، ويقتلع بيوت الطين ، ويضيع المحصول، وسط بحيرة طينية(١٠)

ورغم ذلك ، تميز السومريون بابتداعهم في الحضارة الإنسانية، كأثارهم العمرانية، وكذلك الفنون والنظم

التحدي مهلكاً ، إذا خرج عن نطاق الاعتدال .

#### خلل الحضارة وانهيائها

يكون . الفارق الأساسي بين مرحلتي النمو والسقوط ، هو إن الأقلية الخلافة في المرحلة الأولى تكون قادرة على القيام بالردود الناجحة المستمرة على سلسلة من التحديات المتجددة (٣٢) و في المرحلة الثانية ، تعجز الأقلية المبدعة عن تقديم حلول صحيحة للمشكلات التي تواجه المجتمع (٣٣)

وبالتالي تتحول من أقلية مبدعة تتبعها الأغلبية بشكل طوعي إلى أقلية مهيمنة تسعى إلى الاحتفاظ بمركز لم تعد جديرة به باستخدامها للقوة والبطش و تصبح كالزمار الذي فقد مهارته في إغراء أرجل الجمع للرقص فيلجأ إلى إبدال الزمار بالسوط لإجبارهم على الرقص (٣٤)

و كنتيجة لهذا الاستكراه على الطاعة يحدث انفصال بين الأكثرية والأقلية المسيطرة و يبدأ ما يسميه توينبي ( بزم الاضطرابات ) (٣٥)

ينتقد توينبي المبدأ الذي يردُّ السقوط الحضاري إلى فقدان السيطرة على المحيط و العجز عن صد الاعتداءات الخارجية ، حيث لا يعتبرها توينبي سببا للسقوط و لكن نتيجة انهيار سابق ، قد حدث في قلب الحضارة نفسها (٣٦) وإن أقصى ما يفعله الغزو الخارجي هو توجيه ضربة قاضية إلى المجتمع. فيلغظ أنفاسه الأخيرة و لكن إذا حدث العدوان الخارجي على مجتمع في مرحلة نموه فإنه يشكل تحديا يستثير طاقاته الكامنة و عوامل الإبداع التي فيه (٣٧)

وتعمد الأقلية المسيطرة إلى خلق الدولة الجامعة بواسطة الحروب لتقوم بقهر المعارضين و استئصالهم فتحدث الاضطرابات و الصراعات مابين الدول الإقليمية داخل الكيان الحضاري الواحد فيكون سببا في إنتحار (٣٨) . كان لنشوب حروب البلوبونزية عام ٤٣١ ق. م ، كارثة اجتماعية و سياسية على اليونان ، حيث نعتها (ثوكيديوس) (٣٩) «بداية شرور مستطيرة لهيلاس» (٤٠) حتى إن إسبارطة ساعدت الثورات داخل الإمبراطورية الاثنية ومن . خلال هذا التفكك، سيطرت أسبارطة على أثينا وبهذا سقطت الامبراطورية الاثنية التي حققت إنجازا رائعا في الإبداع و الخلق الفكري (٤١) وبين القرآن الكريم عملية التحلل الحضاري بآيات كثيرة إذ قال تعالى «ما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» (٤٢) وقال تعالى « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة

الضغط . هي ولايات التخوم والحدود (٢١). فغزو الحضارة الهلينية وضغطها على الولايات العربية. أدى بالإسلام إلى طردها وأزاحتها من سورية ومصر ومن ثم القضاء على الإمبراطورية الرومانية (٢٢). تقول المستشرقة زيفريد هونكه (٢٣).

«والإسلام جمع القبائل المتنازعة المفككة ليجعل منها في سنوات قلائل شعبا عظيما. ولم يأت عام ٦٣٥م إلا وقد هزم الجيش البيزنطي وبعد عامين فقط - وفي معركة واحدة - تقوضت دعائم الفرس...» (٢٤). يؤكد توينبي هذه الحقيقة من ناحية المستقبل أيضا بقوله «يمتلك العالم العربي حافزا خاصا يدفعه إلى الاتحاد . إنه يعاني من الضغط الأجنبي» (٢٥) . ثالثا: دافع العقوبات:

إن ما لأفته بعض الأجناس البشرية والطبقات الاجتماعية من ألوان الاضطهاد على أيدي الفئات الطاغية المستبدة في مختلف الشعوب كان باعثا لطوائف من تلك الأجناس والطبقات على خلق أرقى العقائد وأزهى الحضارات (٢٦) . فمثلا كان لممارسة سياسية التمييز العنصري والاضطهاد الذي مارسته بريطانيا ، بحق الهنود في جنوب أفريقيا ، أثر في تحفيز غاندي، إلى تنظيم شؤون الجالية الهندية . فأسس عام ١٨٩٤م، مؤتمرا وطنيا لضمان حقوقهم . وكذلك كان له في التعليم والإرشادات الصحية . من أجل إيجاد مجتمع سليم . وقوي . يتمكن بالتالي من السعي في مضمار الخطوة الثانية في انتزاع الحقوق من السلطة الحاكمة وهذا . لا يتم إلا من خلال مجتمع فاضل يقتضي بتبادل الثقة بين أفرادها. (٢٧)

#### حدود التحدي

من بين شروط التحدي المحفز للحضارة . هو إن لا يكون ذلك التحدي . مفرطا. في صعوبته . بحيث يدمر المقابل . ولا بالغاً في سهولته . بحيث تنشأ عنه الاستهانة . وإنما لابد إن يكون التحدي (متوسطا) بحيث يولد أقصى استجابة ممكنة (٢٨). وقد دعا توينبي هذا الحد الوسط (بالوسط الأمثل). حيث يقول «ثمة مدى . متوسط الشدة. يكون الحافز عنده . في أعلى درجاته . وسنطلق على هذه الدرجة بالدرجة المثلى». (٢٩)

كان لجفاف الأراضي في شبه الجزيرة العربية - بعد إن كانت مكتظة بالأشجار والأنهار - دور في هلاك أقوام كأمهلها كعاد وثمود. مدن ذكرها المؤرخون اليونانيون والرومان ولم يبق لها اثر (٣٠) وقد ذكرها الله تعالى في محكم كتابه.

«وإما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية» (٣١) وبهذا يصح



ويلتقي هنا توينبي مع الفيلسوف الاجتماعي ( دوركهايم ) (٦) بدور الدين في قيام الحضارات . حيث يقول دوركهايم : ( الدين مصدر لكل الحضارات المتقدمة ) (٧) وتتبنى البروليتارية الداخلية (٨) مبدأ الدعوة إلى الأديان العالمية وتستغل هذه البروليتارية ، فرصة قيام الأقلية المسيطرة في إقامة الإمبراطوريات بين أقاليمها فتنتشر مبادئها من خلال الوحدة السياسية أو اللغوية أو التشريعية أو المالية أو توسيع شبكة المواصلات في كل أنحاء الإمبراطورية (٩).

وعندما يبدأ زمن الاضطرابات (١٠) تنهار الإمبراطورية (الدولة الجامعة) إمام دفعة الحياة في الديانة الجامعة. التي تنبعث من موكب الأكثرية . المقهورة . لتقوض أركان الإمبراطورية الفاسدة . وما ساد فيها من عبادة باطلة للمعايير النسبية . وتقديس مهدور للصنميات . الفانية . في شتى مرافق الحياة الفكرية والاجتماعية . ثم تلهب الحياة بعد ذلك في الحضارة العاطلة (١١) . ويمكن تفسير هذه الظاهرة في انتشار الإسلام . ما بين ثانيا عالم سرياني (سوري) متحلل (١٢) ويقول غوستاين ليبون (١٣) «لقد أبدع العرب من فورهم . بعد إن استعانوا بحضارة اليونان والحضارة الرومانية. حضارة جديدة أفضل من الحضارات التي جاءت قبلها» (١٤) .

يحقق بالأديان العالمية -بمرور الزمن- بعض الانحرافات وهذا ما اقره توينبي في كتابه (بحث في التاريخ) حيث يقول: «يحقق بنا على الدوام خطر الانحراف عن بحثنا عن الله إلى تمجيد الإنسان» (١٥) .

ويلتقي توينبي في هذه النتيجة مع الفيلسوف (كانت) (١٦) عندما يقول: «لقد قرب المسيح ما بين ملكة الله والأرض ولكن أخطانا في فهمه . فاستبدلنا بملكة الله . القدسين» (١٧) .

انحرف زعماء الكنيسة المسيحية في كثير من الأحيان . عن المبادئ الأصلية . إذ جعل رجال الدين . من الدين مهنة يحتكرونها . دون الناس جميعا . واتصفوا . بذلك بالبراء الذي كان من سمات الفرسيين (١٨) والشيء الذي قاد المسيحيين إلى التعصب الأعمى . هو دخول التأثيرات اليهودية على المسيحية . ويرأي توينبي إن هذه الردة . قد كبدت المسيحية خسارة روحية جسيمة (١٩) .

يعتبر توينبي اليهودية . بقايا متحجرة . لأنها ظلت محفوظة في لحاء ديني متعصب (٢٠) . وهذا التعصب الديني . عند اليهود . قادهم إلى كره الإسلام . لأنه سلبهم احتكار مبدأ الروحانية . ولأن الإسلام . يتسامى . في مبادئه على اليهودية . بما لا يقاس . بالإضافة إلى عالمية الدين

هل يهلك إلا القوم الظالمون » (٢٣) ومن جملة العوامل التي تؤدي إلى انهيار الحضارة وتفككها هو عبادة القديم . دون النظر إلى القوانين التي تفرضها التحديات الجديدة . وأسوا هذه العبادات ألصنميه . هي عبادة الذات حيث يتعبد صاحب هذه العبادة عن الحياة وعن المشاركة مع الآخرين في معبده النرجسي (٢٤) . وابرز مثال في التاريخ على عبادة الذات في زمن تاريخي قد باد هم . اليهود (٢٥) .

لأنهم ارتدوا عن الوحدانية وآثروا اعتناق عقيدة خاصة بهم ومن خلال هذه العقيدة ادّعوا إنهم شعب الله المختار . وأعماهم هذا الزهو . فتردوا في خطأ مبين . إلا وهو عبادة ذاتهم . والثبوت عند مرحلة تاريخية قد عفا عليها الزمان . ولهذا أصيبوا بالعقم (٢٦) .

وأخيرا . نقول : يبقى الإنسان هو المحور والقطب الرئيسي في الارتقاء والسقوط . فإذا . كانت هناك حضارة مزدهرة . فهو يعني . وجود إنسان . وقد وظف العقل - الذي وهبه الله له - في صنع الحضارة . وإذا أصبح هناك ترد وتفكك في الحضارة . فهذا يعني . إنه . أي الإنسان . قد عطل جوهريته (العقل) عن العمل والنشاط الضروري لغرس بذور النمو والتقدم .

#### المبحث الرابع

##### الدين وحركة التاريخ لدى أرنولد توينبي

نظر توينبي إلى الأديان باعتبارها الروح المغذية لجميع الحضارات . والعقيدة الدينية . هي جزء من الاستيلاد الحضاري التي تقع بين مجتمع فانٍ وبداية نشوء حضاري (١) .

يعيب توينبي على جيبون (٢) إلقاءه مسؤولية . انهيار الحضارة الرومانية . على الديانة . المسيحية . واعتبار الأديان سرطانات . تلتهم الأنسجة الحية للحضارات (٣) . حيث اعتبر توينبي سقوط المجتمع الهيليني . قد حدث فعلا . قبل مكابده - بفترة طويلة - تطفل المسيحية . أو أية عقائد أخرى دخلت عليه (٤) .

يؤمن توينبي . بدور العقائد الدينية . في مجريات التاريخ . حتى يمكن القول : أن كل حضارة من الحضارات القائمة . في الوقت الحاضر . نوع من العقيدة الدينية العالمية . وعن طريق الديانات تولدت الحضارة - أصلا - عن حضارة أقدم منها فمثلا الحضارتان المسيحيتان الغربية والشرقية والحضارات الإيرانية والعربية تولدتا عن الحضارة السورية بواسطة الإسلام . (٥)

## المبحث الخامس

## البطل في التاريخ في منظور توينبي

عكس توينبي ، مفهوم البطل في التاريخ من خلال الأقلية المبدعة الذين يستطيعون إن يجابهوا التحدي الذي يواجه المجتمع (١) و يعرف بول تورانس الإبداع « بأنه عملية التحسس بالمشكلات ، و النقائص ..ثم تحديد الصعوبة وبيان هويتها ثم البحث عن الحلول ، و إجراء التخمينات أو قُل ، اذا شئت ، صياغة الفرضيات ... ثم اختبار هذه الفرضيات ، و أخيرا صياغة النتائج ونقلها إلى الواقع» (٢)

تنوع البطولة ، من حيث اختصاص الأفراد العباقرة في المجال الذي يدعون فيه ، فيقول توينبي : « ... إن زمرة المتسلقين \_ رغم عن كونهم بالتأكيد أفراداً ينفصل بعضهم عن البعض الآخر \_ يشتركون جميعاً في عمل متماثل لأنهم يحاولون تسلق سطح المنحدر ، ذاته من نقطة البداية نفسها» (٣)

تعريفنا للبطل يقودنا إلى إن نفرق بين الرجل كصانع للإحداث وبين رجل الأحداث ، فالرجل كصانع للإحداث هو الرجل الذي يؤثر على الأحداث التاريخية . إذن أن أي إنسان ، لا يستطيع ، إن يقوم بها إلا هو وحده ، بينما رجل الأحداث هو الرجل الذي خفل حياته بالأحداث التاريخية ، وأي شخص بديل من الممكن إن يقوم بها بدلا عنه و من الممكن إن نقارنه بالطفل الهولندي الصغير الذي سد ثقب السد بإصبعه و أنقذ مدينته من الغرق و كان بإمكان أي إنسان في مثل تلك الحالة إن يفعل ما فعله ذلك الطفل . (٤)

لم يؤيد توينبي ( المدرسة الأسميه) في تأكيدها على مجرد وجود الفرد فقط .وتعتبره هو الحقيقة الواقعية الوحيدة و المجتمع تركيب خيالي لاوجود له (٥) وخاصة بما أكده كارليل ، عندما اعتبر التاريخ هو تاريخ العظماء ، فليس ثمة تاريخ بغير عظماء (٦)

وكان لا ينحو منحى (المدرسة الاجتماعية) أو الواقعية التي تنكر وجود الفرد خارج إطار المجتمع (٧) تبعا لرؤية فولتير التي ترى ، إن صانع التاريخ ليس واحد بل الناس جميعاً ، بحيث « إن التفكير لمعرفة التتابع الزمني لجميع السلالات، تعتبر مجرد كلمات لا فائدة منها» (٨) يسلك توينبي مسلكاً متوازناً بين دور المجتمع ودور الفرد .فهو يقول : «لا تجد شخصية مجالها في التعبير والارتقاء إلا بإقامتها علاقات مع أشخاص أخرى .ومن ثم لا وجود لمجتمع » ، إلا ، في مناحي نشاط الأفراد الذين لا يتأتى لهم

الإسلامي . فأن الأيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، ليس نعمة. اختص الله بها اليهود وحدهم. بل متاحة للبشر (٢١).

يؤمن توينبي، ببعض الحركات الإصلاحية في الدين، والتي تنقي الدين من كل حيثيات التعصب، التي قد خيق بالديانة العالمية

فيقول في ذلك: (اكتشف الزنجي الأمريكي في المسيحية طائفة من المعاني والقيم الطريفة التي جهلتها المسيحية الغربية طويلاً ... وبهذا استطاعوا، إن يوفقوا في إشعال النار في رماد المسيحية الخاملة) (٢٢).

يدعوا توينبي إلى التوفيق ما بين الدين والعلم، ونجده يقول في ذلك:

«وإذا كان العلم قد انتصر على الدين في البلاد المتحضرة، انتصاراً ساحقاً، فإن هذا الانتصار، يعتبر كارثة لا على الدين وحده ولكن على العلم كذلك ، فإن كلا من العقل و الدين ملكة جوهرية من ملكات الطبيعة البشرية » (٢٣)

تهدف الحركات الدينية الإصلاحية إلى إيجاد الحلول الوسطى لتكييف العقيدة المسيحية ،كي يمكن لها الصمود ،أمام التقدم العلمي (٢٤) .فمثلاً أيزاك نيوتن (٢٥) برهن على وجود الله من ناحية الغائية البادية في نظام العالم وجماله ، حيث نظامنا الشمسي ، لا يفسر بقوانين آلية ، بل بقوة فائقة للطبيعة رتبت لكل جرم سماوي حجمه و ثقله و سرعته و الأبعاد بين كل جرم (٢٦) و حاول (غاليلو ) (٢٧) إن يفسر الإنجيل بشكل يتلاءم مع المكتشفات الفلكية التي، قد توصل إليها . (٢٨)

ويحاول توينبي إن يوازن بين الدين من ناحية و التقدم المادي من ناحية فيقول :« العرق العلماني الموجود في النشاط الروحي إنما هو مصطلح وسط بين الدين من ناحية ، و نشدان القوة المادية من ناحية الأخرى » (٢٩)

فأذن ، إن للأديان دوراً فاعلاً في إيجاد الحضارة لما تتميز به من مواصفات روحية ، ولكن بمرور الزمن ، يصيب هذه الأديان الوهن، بفعل التأثيرات المادية و الأسطورية ، فيجعلها غير مجدية في الحياة ، ولهذا تحتاج إلى الحركات الإصلاحية لتنقيتها من كل الشوائب الداخلية فيها .

وفي حالة فشل المبدع في تغير الواقع فإن القوة الإبداعية الخالقة تتحول وبالا عليه إذ يفقد الوثبة التي تدفعه للعمل و يفقد بذلك إرادة الحياة هذا إذا لم يدفع الأفراد المعاصرون له رأسه إلى المقصلة بسرعة و إتهامه بشتى النعوت بوصفه منحرفا و شاذا عن القطيع أو شيئا غريبا عن الخلية (٢٣) فمثلا كان للآراء الفلكية الجديدة التي اقراها (غاليلو) في أبحاثه العلمية \_ و التي تبين إن الشمس هي مركز الكون و ليس الأرض حسب الاعتقاد القديم - أثر في جعل الكنيسة الكاثوليكية ، أن تقف بالضد من آراء غاليلو ، ودعت محكمة التفتيش إلى اعتقاله و أرغامه عن التنازل عن آرائه (٢٤) .

بدورهم وجود . الا في المجتمع (٩) ومن هنا توصل توينبي إلى إن (الفرد مصدر الفعل ، والمجتمع هو الميدان لهذا الفعل (١٠).

يشرح توينبي في كتابه (بحث في التاريخ) عملية الاعتزال و العودة ودورها في خلق الأبطال ، حيث يتيح الاعتزال للشخصية ، تحقيق الطاقات ، التي بداخل الشخصية ، وقد يكون الاعتزال ، فعلا اختياريا قامت به الشخصية من تلقاء نفسها ، أو تفرضه عليها ظروف أقوى من إرادة تلك الشخصية (١١).

يصبح الاعتزال الذي يؤدي إلى تسامي الشخصية ، بلا فائدة أو يغدو بلا معنى ، الا في حالة عودة الشخصية المتجلية على الوسط الاجتماعي ، الذي وفدت منه ، أصلا . (١٢)

يصرح الله تعالى بهذه الحقيقة بقوله في محكم كتابه «ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اتبعوا الله (١٣)» تقع مسؤولية البطل في إعادة تشكيل الواقع وصياغته على منوال ما صدر فيه من أبداع داخل شخصيته ، و الذي تميز به دون الآخرين (١٤) .

تواجه البطل مشكلة إقناع الأكثرية غير المبدعة ؟ و الجواب على هذه المشكلة ، يكمن في الطريقة التي يتبعها البطل في التأثير و الإقناع ، لخلق أقلية موالية له ، وهذا ما يسميه توينبي بـ (التشابه الموحد ) ، (١٥) تقوم هذه الأقلية الصغيرة بتطبيق نوع من التدريب الاجتماعي بواسطة حشد ملكة المحاكاة (١٦) في نفوس الجماهير العاطلة عن الإبداع (١٧) ومن هنا كان من شروط نجاح (المحاكاة) هو إن تكون شخصية البطل كروزماتيكية (١٨).

لتمضي بالمجتمع قدما وجر، من ورائها تلك الأغلبية الخاملة (غير الخلاقة) (١٩) وهذا النوع من المحاكاة يعتبر من الطرق الفاعلة في عملية الانقياد الاجتماعي (٢٠) ومن النماذج البطولية التي تدخل ضمن إطار نظرية توينبي ، هي شخصية الرسول (ص) والتي يتخذها توينبي ، مثالا ، في كتابه ( بحث في التاريخ ) فنجده يقول : ( اتخذت رسالة محمد في البداية حركة الاعتزال و العودة و كرس محمد حياته لتحقيق عنصر الوحدةانية في الجزيرة العربية وعنصر القانون و النظام أيضا و تم ذلك فعلا بفضل الإسلام) (٢١)

تتجه ، جماهير العامة إلى الاستعاضة بمحاكاة أجدادها إلى محاكاة الشخصيات البشرية المبدعة في عصرها ويتم ذلك عند تحول الحضارة من حالة الهدوء إلى حالة النشاط



## الهوامش

## هوامش المبحث الأول

- (١) ارنولد توينبي، مجلة العالم العربي، العدد الثالث، السنة ١٣، بيروت، ١٩٦٤، ص ١٨.
  - (٢) د. هاشم يحيى الملاح وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، دار الكتب للطباعة، الموصل، د.ت، ص ٢١١.
  - (٣) تراث الإنسانية، مجموعة من الباحثين العرب، المجلد الثالث، مطابع كوستا توماس وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٨.
  - (٤) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، تعريب، أمين محمود الشريف، دار إحياء الكتب العربية، مطابع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٨.
  - (٥) ازوفالد شبنجلر، فلسيوف ألماني (١٨٨٠-١٩٣٦) واشتهر بكتابه (أقوال العرب)، انظر، عبد المنعم الخفي، الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون، ص ١.
  - (٦) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص ١٨.
  - (٧) فاوست : هي إحدى الدلالات الأدبية في القرن الثامن عشر التي بينت تحدي الشيطان لله، جبور عبد المنعم، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٤٥.
  - (٨) جوته: شاعر الألماني (١٧٤٩-١٨٣٢) أصدر الجزء الأول من فاوست عام وفي عام ١٨٣٢ أصدر الجزء الثاني، جبور عبد المنعم، المصدر نفسه، ص ٣٤٦.
  - (٩) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص ١٩.
  - (١٠) محمود زايد، سيرة الفكر التاريخي عند توينبي، (بحوث مهرجان المؤرخ توينبي)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص ٧٣.
  - (١١) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص ١٢.
  - (١٢) التحدي الأفضل والأكثر إيجابية.
  - (١٣) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، تعريب، فؤاد محمد شبل، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٤٣٢.
  - (١٤) ارسطوطاليس، فيلسوف يوناني (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)، انظر عبد المنعم الخفي، المصدر السابق، ص ٣٥.
  - (١٥) محمد يوسف موسى، تاريخ الأخلاق، الطبعة الثالثة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٨٩.
  - (١٦) أرسطو طاليس، علم الأخلاق، الجزء الأول، تحقيق، بارتلمي سانتهيلير، تعريب، احمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٢٥٠.
  - (١٧) عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢هـ-٨٠٨هـ)، وهو أديب ومؤرخ اجتماعي وله مؤلفات عديدة أهمها (العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم
- من ذوي السلطان الأكبر) انظر عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٥٨، ص ١٨٩.
  - (١٨) محمد عبد الله عنان، ابن خلدون، (حياته وتراثه الفكري) الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٨٨.
  - (١٩) نوري جعفر، التاريخ (مجاله وفلسفته)، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٥٥، ص ٩٣.
  - (٢٠) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق، حجر عاصي، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٨٥.
  - (٢١) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ٣، ص ١٥٢.
  - (٢٢) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص ١٩.
  - (٢٣) توماس كارليل: مؤرخ اسكتلندي، درس ليكون قسيسا ولم يعمل في الجامعة وأنكب على الكتابة الحرة فخرج بكتاب عنوانه (عن الأبطال وعبادة البطل)، انظر عبد المنعم الخفي، المصدر السابق، ص ٣٦١.
  - (٢٤) محمود زايد، المصدر السابق، ص ٧٣.
  - (٢٥) محمود اسماعيل، البطل التاريخي بين كارليل وتوينبي، مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٦١.
  - (٢٦) محمد محمود، في الأدب الإنكليزي، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٧٣.
  - (٢٧) محمود اسماعيل، المصدر السابق، ص ١٦١.
  - (٢٨) ارنولد توينبي مختصر دراسة التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٣.
  - (٢٩) المصدر نفسه، ص ١٥٣.
  - (٣٠) رموند كارفيلد كيتل، العلوم السياسية، تعريب، فاضل زكي محمد، الطبعة الثانية، دار التضامن، بغداد، ١٩٦٣، ج ٢، ص ١٥٧.
  - (٣١) هنري برجسون، (١٨٥٩-١٩٤١)، وهو يهودي فرنسي تخرج من مدرسة المعلمين، وكان له تأثير على الأدب والفكر في أوروبا وأهم كتبه (المادة والذاكرة) و (التطور الخلاق) و (الطاقة الروحية)، انظر عبد المنعم الخفي، المصدر السابق، ص ٩٦.
  - (٣٢) عبد الجليل الطاهر، مسيرة المجتمع، دار الكتب المصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٤٦١.
  - (٣٣) هنري برجسون، ينبوع الأخلاق والدين، ص ٣٣٣، نقلا عن كتاب ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٣٥٤.
  - (٣٤) اتجاه فلسفي في القرون الوسطى، يذهب إلى التأكيد بأنه لا وجود في الواقع إلا الأشياء المنفردة، إما المفاهيم العامة فهي من صنع تفكير الإنسان، فمثلا لا وجود في الواقع الموضوعي (إنسان) بل هناك عمر وزيد... الخ، انظر عبد الرزاق مسلم ماجد، مذاهب ومفاهيم في الفلسفة

- (١٧) الفلسفة الوضعية ، هي فلسفة التي تعتبر أي عبارة بدون معنى اللهم إلا إذا تم التحقق من صحتها بطريقة قاطعة ، انظر ، زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ج١، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ٣١٢.
- (١٨) كولون ولسن ، المصدر السابق ، ص ١٤٦.
- (١٩) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٤٦٦-٤٦٧.
- (٢٠) عفت محمد الشرقاوي، المصدر السابق، ص ٢٣٠.
- (٢١) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٧٢.
- (٢٢) زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج ١، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٣١٢.
- (٢٣) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٥.
- (٢٤) كولون ولسن، المصدر السابق، ص ١٤٦.
- (٢٥) احمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية ، د.ت، ص ٢٦١.
- (٢٦) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص ١٨.
- (٢٧) احمد محمود صبحي، المصدر السابق، ص ٢٦١.
- (٢٨) البان جريجوري ويد جيرى، المذاهب الكبرى في التاريخ، تعريب، ذوقان قرقوط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٢٥.
- (٢٩) تراث الإنسانية، المصدر السابق، ص ٣٣٥.
- (٣٠) احمد محمود صبحي، المصدر السابق، ص ٢٦٢.
- (٣١) فؤاد محمد شبل ، منهاج توينبي التاريخي، ص ١٠٣.

### هوامش البحث الثالث

- (١) فؤاد محمد شبل ، منهاج توينبي التاريخي، ص ٤١.
- (٢) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ١٢٨.
- (٣) ألين والياخ، مدرسة صينية قديمة، تقوم على مبدئين كونيين، الأول سالب، سلبي مستكين، والثاني ايجابي، فعال وقوي، ومن تفاعل المبدئين تتولد الأشياء ، عبد المنعم الخفي، المصدر السابق، ص ٤٢٤.
- (٤) كولون ولسن، المصدر السابق، ص ١٤٧.
- (٥) البان ويد جيرى، المذاهب الكبرى في تفسير التاريخ، ص ٣٢٤.
- (٦) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ١٤٧.
- (٧) المصدر نفسه، ص ١٨٦.
- (٨) جعفر نوري ، المصدر السابق، ص ٩١.
- (٩) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ١٤٧.
- (١٠) جورج رو، العراق القديم، تعريب، حسين علوان حسن، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨١، ص ١٤٤.
- وعلم الاجتماع ، دار المكتبة العصرية ، بيروت، د.ت، ص ١٢.
- (٣٥) ظهرت بوادر هذه المدرسة منذ عهد سقراط وأفلاطون ، وتؤكد هذه المدرسة على إن المجتمع وحده هو الحقيقة، وإن وجود الفرد يعتمد ، وحده على المجموع، دينكن ميشيل ، معجم علم الاجتماع ، تعريب، احسان محمد الحسن ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٤٦.
- (٣٦) ارنولد توينبي ، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٣٥٤.

### هوامش إلمبحث الثاني

- (١) فؤاد محمد شبل، منهاج توينبي التاريخي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص ١١.
- (٢) ادوارد جيبون :مؤرخ إنكليزي ، وصاحب كتاب (تاريخ أفول وسقوط الإمبراطورية الرومانية) بستة أجزاء مابين (١٧٧٦\_١٧٧٨)، عبد المنعم الخفي ،المصدر السابق ، ص ١٦٣.
- (٣) كولون ولسن، سقوط الحضارة ، تعريب، إنيس زكي حسن، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣، ص ١٤٥.
- (٤) محي الدين اسماعيل ، توينبي (منهج التاريخ وفلسفة التاريخ)، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٣١.
- (٥) البان جريجوري ويدجيرى، التاريخ وكيف يفسرونه، تعريب ، عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢٣٠.
- (٦) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٤٢٥.
- (٧) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص ٢٣.
- (٨) سيوفوس، هو في الأساطير اليونانية، شخص حكم عليه بأن يدرج حجرا ضخما إلى إن يبلغ قمة إحدى التل، لكنه قبل إن يبلغه ، يعود الحجر إلى نقطة البداية، ويبقى هكذا إلى الأبد، ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٤٢٧.
- (٩) محي الدين اسماعيل، المصدر السابق ، ص ٣٤.
- (١٠) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٥.
- (١١) المصدر نفسه ، ص ٦.
- (١٢) فؤاد محمد شبل ، منهاج توينبي التأريخ ، ص ١٤.
- (١٣) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٧.
- (١٤) محي الدين اسماعيل، المصدر السابق ، ص ٣٤.
- (١٥) عفت محمد الشرقاوي ، أدب التاريخ عند العرب ، دار العودة ، بيروت ، د.ت، ص ٩١.
- (١٦) اسحق عبيد ، معرفة الماضي من هيرودوت إلى توينبي، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١، ص ١٤٤.

١٩٨٦، ص ٢٧.

(١١) صموئيل كرم، من ألواح سومر، تعريب، طه باقر، مطبعة مصر، القاهرة، د.ت، ص ٩.

(١٢) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ١٤٨.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(١٥) منح خوري، التاريخ الحضاري عند توينبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠، ص ٣١، ص ٣٢.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٣١.

(١٧) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٥، ج ٣، ص ٣١.

(١٨) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ١٨٣.

(١٩) محمد الفاخ، سلطان عثماني، حكم ما بين (١٤٥١-١٤٨١)، أنظر: نخبة من الباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٦٥٨.

(٢٠) كارل بروكلمان، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٢.

(٢١) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ١٨٧.

(٢٢) احمد محمود صبحي، المصدر السابق، ص ٢٦٩.

(٢٣) زيفريد هونكه، مستشرق ألماني، كان لكتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) أصداء واسعة في العالم الأوربي، وتسليط الأضواء على ما للتراث العربي من فضل في نهضة الغرب، انظر، زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تعريب، فاروق بيضون، وكمال دسوقي، مطابع الفندق، بيروت، ١٩٦٤، (تقديم المترجم)، ص ٢.

(٢٤) زيفريد هونكه، المصدر نفسه، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٢٥) ارنولد توينبي، الوحدة العربية آتية (من النيل إلى النيجر) تعريب، عمر الديراوي، انو حجلة، دار الأدب، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٧٧.

(٢٦) منعم خوري، المصدر السابق، ص ٣٢.

(٢٧) د. علاء حسين الرهيمي، محاضرات في تاريخ العالم الثالث، (مخطوط) ألفت على طلاب للعام ١٩٩٩.

(٢٨) فؤاد محمد شبل، منهاج توينبي التاريخي، ص ٢١٤.

(٢٩) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٢٤٢.

(٣٠) جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام، مطبعة الفيض الأهلية، بغداد ١٩٥٢، ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥.

(٣١) الحاقبة الآية ٦

(٣٢) منح خوري، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٣٣) محمود زايد، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٣٤) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٤١٢.

(٣٥) منح خوري، المصدر السابق، ص ٤١.

(٣٦) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، الطبعة الثانية، دار التربية، بغداد، ١٩٧٨، ص ٨٢-٨٣.

(٣٧) احمد محمود صبحي، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٣٨) منح خوري، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٣٩) ثيوكلديوس: مؤرخ يوناني عاصر حروب البولوبونيز (٤٣١-٤٠٤ ق.م) وكتب عن هذه الحرب الأهلية في اليونان وكان يجول في المناطق بحثا عن الوثائق، أنظر د.حسان حلاق، مقدمة في مناهج البحث التاريخي، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٤٠) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ١، ص ٤٣٩.

(٤١) عامر سليمان واحمد مالك الفتان، محاضرات في التاريخ القديم، جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص ٣٤٠-٣٤١.

(٤٢) هود الآية ١١٧/

(٤٣) الإنعام الآية ٤٧/

(٤٤) النرجسي، شخصية أسطورية مشتقة من لفظة نرسييس اليونانية، وتشير الأسطورة إلى إن نرسييس كان بارع الجمال، وعندها وصل عند ينبوع الماء رأى شكله في الماء فافتتن بشكله، حتى الموت، أنظر جبور عبد نور، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٤٥) إسحاق عبيد، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٤٦) فؤاد محمد شبل، مشكلة اليهودية العالمية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٤٧.

### هوامش البحث الرابع

(١) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ٣، ص ١٢٥.

(٢) ادوارد جيبون: مورخ إنكليزي، صاحب كتاب / تاريخ أقول و سقوط الإمبراطورية الرومانية، وهذا الكتاب بسته أجزاء، وعاش (١٧٧٦-١٧٨٨) أنضر، عبد المنعم الخفي، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٣) تراث الإنسانية، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

(٤) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ٣، ص ١٤٦.

(٥) تراث الإنسانية، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

(٦) دوركيهام، عالم اجتماعي فرنسي عاش بين (١٨٥٨-١٩١٧)، انظر دينكن ميشيل المصدر السابق ص ١١٢.

(٧) مليحة عوني القصير ومعن خليل العمر، المدخل إلى علم الاجتماع، جامعة بغداد، ١٩٨١، ص ٤٤٤.

(٨) البرولتباريا الداخلية: يعرفها توينبي بأنها ذلك العنصر الاجتماعي التي تكون في مجتمع ما ولكنها لا تكون منه في أي دور تاريخي، أي إنها غير منتمية له من حيث الإيمان بتقاليده وأعرافه، عماد الدين خليل، المصدر

السابق، ص ٨٦.

(٩) احمد محمود صبحي ، المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(١٠) منح خوري ، المصدر السابق، ص ٤٠.

(١١) عماد الدين خليل، المصدر السابق، ص ٨٤.

(١٢) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ٣، ص ١٥٥

(١٣) غوستاين ليبون: مؤرخ فرنسي، أنظر غوستاف ليبون

، حضارة العرب، تعريب، دار أحياء الكتب العربية،

بيروت، ١٩٥٦.

(١٤) غوستاين ليبون ، المصدر نفسه ، ص ١٤.

(١٥) ألبان جريجوري ويد جيري، التاريخ وكيف يفسرونه،

ص ٢٣٧.

(١٦) كانت: هو فيلسوف بروسى ولد في بروسيا الشرقية

وهي المانيا حاليا، واشتغل بالتدريس، عاش ما بين (١٧٢٤ -

١٨٠٤) «انظر عبد المنعم الخفي، المصدر السابق، ص ٣٧٢ -

٣٧٣.

(١٧) احمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة،

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.

ج ١، ص ٣٠٥.

(١٨) الفرسيين، طائفة من اليهود ، كان رأيها الغلو في

الدين والتظاهر بالتشدد في تطبيق أوامره حتى باتت

رمزا للرياء والنفاق، انظر، ارنولد توينبي، مختصر دراسة

التاريخ، ج ٣، ص ١٧١.

(١٩) تراث الإنسانية، المصدر السابق، ص ٢٠.

(٢٠) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج ٣، ص ١٥٥

(٢١) فؤاد محمد شبل، مشكلة اليهود العالمية، ص ٨١.

(٢٢) عفت محمد الشرقاوي، المصدر السابق ، ص ١٠١

(٢٣) فواد محمد شبل، منهاج توينبي التاريخي، ص ٨١

(٢٤) د. قيس هادي احمد ، نظرية العلم عند فرنسيس

بيكون، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٨٦،

ص ٢٤.

(٢٥) نيوتن، ( ١٦٤٢ \_ ١٧٢٧) فلكي و فيلسوف بريطاني

واهم كتبه ، هي المبادئ الرياضيه للفلسفة الطبيعية

و البصريات ، أنظر عبد المنعم الخفي ، المصدر السابق ،

ص ٤٩٣.

(٢٦) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف

بمصر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٤٨

(٢٧) غاليلو : ( ١٥٦٤ \_ ١٦٤٢ ) فلكي إيطالي وأول من

اكتشف بأن الشمس مركزة الكون ، بشكل رياضي ،

أنظر (الموسوعة الفلسفية ) نخبة من العلماء السوفيت

، ط ٢ ، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص

٣١٧ .

(٢٨) يوسف كرم ، المصدر السابق ، ص ١٥٠

(٢٩) ( ألبان جريجوري ويد جيري ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥

### هوامش البحث الخامس

(١) كولن ولسن ، المصدر السابق ، ص ١٤٨

(٢) فاخر العاقل ، الإبداع و تربيته ، دار العلم للملاين ، بيروت

، ١٩٨٩، ص ٨ .

(٣) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ ، ج ١ ص ٤٠٤ .

(٤) سدني هوك ، البطل في التاريخ ، تعريب، مروان الجابري

، مؤسسة فرانكلين ، «بيروت \_ نيويورك » ، ١٩٥٩ ص ١٥٥ .

(٥) عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص ٤٦١ .

(٦) محمود اسماعيل ، المصدر السابق، ص ١٦٠ ، ص ١٦١

(٧) عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص ٤٦١ .

(٨) روبرت لافون جرابون ، قضايا الساعة ، تعريب ، نادية

القباني ، د.ت. ١٩٧٧، ص ٣٨ .

(٩) ارنولد توينبي ، مختصر دراسة التاريخ ، ج ٣، ص ١٤٧ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .

(١١) المصدر نفسه ج ١، ص ٣٦٣

(١٢) المصدر نفسه ج ١، ص ٣٦٣ .

(١٣) النحل الآية ١٣ .

(١٤) محمود إسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٣٤

(١٥) كولن ولسن ، المصدر السابق ، ص ١٤٧

(١٦) المحاكاة : هي نوع من الإيحاء ، يقوم ، بإحداث تفاعل

بين الأفراد و الجماعة و تعتبر اللغة من الوسائل المهمة

التي تعتمد عليها المحاكاة ، أنظر مصطفى سويف ،

مقدمة لعلم النفس الاجتماعي ، ط ٤ ، مكتبة الأنجلو

المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٧٠ \_ ١٧١ .

(١٧) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ ، ج ٢ ص ٤٣٣ .

(١٨) كروزما تيكي: تعني في اللغة الاغريقية بـ ( أُلرحمه

الإلهية ) و أول من استعمل هذا المصطلح ( أرنست ترو

لتش ) و (ماكس فيبر ) و الذي يعني بها قابلية الشخص

على القيادة و الإلهام ، بفضل شخصية و عبقرية ،

وعقيدته ، دينكن ميشيل ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(١٩) اسحق عبيد ، المصدر السابق ، ص ١٣٥

(٢٠) عماد الدين خليل ، المصدر السابق ، ص ٨٠

(٢١) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ ، ج ١ ص ٣٨١ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ج ٣، ص ٣٨١ .

(٢٣) عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق ، ص ٤٦٣

(٢٤) نبيل عبد الحميد الجبار ، غاليلو غاليلي ، في ابحاث

الاتجاه الافلاطوني ، مجلة أبحاث، العدد الأول ، السنة

الأولى ١٩٨٩، ص ١٩ .